ملخّص ما بين واقعين واقع الدنيا وواقع الدين (ح١١) / عبد الحليم الغزّي
التقويم القمري في ضوء ثقافة العترة الطاهرة (ج١)
السبت : ٩/ربيع الثاني/١٤٤٤هـ - الموافق ٥/١١/٢٠٢٢م

"التقويمُ القَمريُّ في ضَوء ثَقافة العترة الطَّاهرة"؛ هذا هو عُنوانُنا في هذه الحلقة وما بعدها.
سؤالٌ يطرحهُ كثيرون في أَجوائنا الشيعيّة: الأَشْهُرُ القَمَريَّةُ هل تبقى مُتنقّلةً ما بينَ فُصول السَّنة أو أنَّها لابُدَّ أن تكونَ ثابتةً كما هو الحالُ مع الأَشْهُرِ الشَّمسيّة؟
إثاراتٌ كثيرةٌ وكلامٌ كثيرٌ في العَقْدَين الأخيرين من زماننا، أَلَّفَ مُؤلِّفون، وتَحدَّثَ مُتحدِّثون، وأفتى مُفْتُون مثلما هُم يدَّعون من أنَّ الأَشْهُرَ القَمَريَّة لابُدَّ أن تكونَ ثابتةً مثلما الحالُ في الأشهرِ الشَّمسية.

• في بداية الأمرِ لابُدَّ من مُقدِّمةٍ إجماليّةٍ توضيحيّة.

مَوضوعُ التقويم موضوعٌ مُتشَعِّبٌ، لماذا؟ لأنَّهُ موضوعٌ قديمٌ في التأريخ، وإذا أردتُ أن أتحدَّثَ عن تأريخه وكيفَ نَشأ بَينَ الأُمَم السَّابقة وفي الحضارات القديمة فهذا يَحتاجُ إلى وقتٍ طويل، معَ مُلاحظة أنَّنا لا نمتلكُ المعلومات الدقيقةَ الكافيةَ عن ذلك، تَحدَّثوا عن التقويمِ في كُتُب التأريخ لكنَّهم في الوقتِ نَفسه لا يمتلكونَ الوثائقَ الدقيقةَ الَّتي تُخبِرنا عن تفاصيلِ كُلِّ ذلك، ومعَ كُلِّ هذا فَهُناكَ الكثيرُ من المعطياتِ في كُتُب التأريخ تتحدَّثُ عن التقويمِ عندَ الأُمَم المختلفة.
هُناكَ الكثيرُ من أنواع التقويمِ في العالمِ بحسب اختلاف الديانات واختلاف المشاربِ الثقافيّة والفَلسفيّة والدّينيّة وفي بعض الأحيان يكونُ التقويمُ بحسب الاتجاه السياسيّ للحاكمِ الفُلاني في البلد الفلاني، وللقائدِ العسكريّ الفُلاني في الدولةِ الفلانيّة، وهكذا يتشعَّبُ الكلام ويتفرعُ الحديث ولا أريدُ أن أخوضَ في كُلِّ ذلك.

بالإجمال؛
- هُناكَ تقويمٌ شمسيّ.
- وهُناكَ تقويمٌ قَمَريّ.

والتقويمُ الشَّمسيّ؛ يكونُ مُعْتَمداً على حركة الأرض حولَ الشَّمس، لابُدَّ أن تعلموا من أنَّ التقويمَ الشَّمسيّ مرّ بعدَّة مراحل، التقويمُ الشَّمسيّ الَّذي بينَ أيدينا الآن لم يَكُن قد نشأ مرَّةً واحدةً وإنَّما تدرَّجَ شيئاً فشيئاً، وفي بداياته كانَ عددُ الشُّهورِ في هذا التقويمِ عشرةَ أَشْهُر، أنا لا أريدُ أن أُحدِّثَكم عن التدرُّج التأريخي في نشأة التقاويم، فبحسب التقويم الشَّمسيّ فإنَّ أَشْهُرَ السَّنة الشَّمسيَّة تأتي في كُلِّ سنة في الفصلِ نفسه، فَأَشْهُرُ الربيع ثابتة، وأَشْهُرُ الصيف ثابتة، وهكذا الخريفَ، وهكذا الشتاء. وهذه قضيّةٌ ضروريّةٌ في حياة الإنسان، فمعرفةُ بدايات الفُصول ونهاياتها حيثُ تتغيّر درجةُ الحرارة وحيثُ تتبدَّلُ حركةُ الرياح، وحيثُ تبدأ مواسمُ المطر، وحيثُ تَنْحسرُ أيضاً فُصولُ السَّنة على اختلاف أحوالها وتَبايُنِ شُؤونها، كُلُّ هذا يرتبطُ بالزراعة الَّتي كانت أساساً ولا زالت ولكنَّها في القديمِ كانت أساساً لحياة الإنسانِ بنحوٍ لا نستطيعُ أن نَتصوَّرَ المجتمعَ البشريَّ من دُونِ زراعة في أيِّ حال من أحواله، ولا زالت الزراعةُ كذلك، الزراعةُ ترتبطُ ارتباطاً مُباشراً بِكُلِّ شؤونها بِتغيُّرِ أحوال الفُصولِ في حياة الأرض تُراباً وهواءً وماء. وكذلكَ تربيةُ الحيوانات تربيةُ المواشي، كُلُّ ذَلكَ يرتبطُ بِفُصول السَّنة، تتمازجُ الزراعةُ معَ الثروة الحيوانيّة بشكلٍ واضح وكُلُّ هذا يرتبطُ بالـمَاء والـهَواء والتُراب، وجميعُ كُلِّ ذلكَ يَعتمدُ اعتماداً مفصلياً على ما يجري من تَحوّلات وتَقلُّبات في حرارة الجوِّ وطبيعة الهواء وكَثْرَة الأمطار وقلّتها. ويُضافُ كَذَلكَ إلى الثروة الحيوانيّة ما يرتبطُ بصيد الإنسانِ للحيوانات، الصيدُ إنْ كانَ في البرِّ أو في البحرِ هو الآخرُ يرتبطُ ارتباطاً مُباشراً بالتوقيتاتِ الشَّمسيّة عبرَ التغيُّرات الفَصليّة، وكُلُّ هذا يَنْعَكسُ على أسفارِ الإنسانِ وحركتهِ وانتقاله، من هُنا يكونُ التقويمُ الشَّمسيّ ضَرورياً لحياة الإنسان، هذا ما يرتبطُ بالتقويمِ الشَّمسي.
أمَّا التقويمُ القَمَريّ؛ فإنَّهُ يتَّخذُ من حركة القَمَرِ حولَ الأرض أساساً ومُعتمداً لتفصيلِ السَّنة القَمَريّة والَّتي تختلفُ عن السَّنة الشَّمسيّة فَهي أقصرُ منَ السَّنة الشَّمسيّة، السَّنةُ الشَّمسيّةُ تتجاوزُ خمسةً وستينَ وثلاثمئة بساعات، من هُنا هُناكَ السَّنةُ الكبيسةُ في كُلِّ أربعِ سنوات، حيثُ تُجمَعُ الساعاتُ الزائدةُ على (٣٦٥) يوم فتُجْمَعُ في أربعِ سنوات كي يَكُونَ عندَنا يومٌ يُضافُ إلى الشهر الثاني إلى شهر شباط، فيكونُ شَهرُ شباط في السَّنةِ الرابعةِ في السَّنةِ الكبيسةِ في كُلِّ مرّة مُزْدَاداً يَوْماً، فبدلاً من أن يَكونَ ثمانيةً وعشرين سيكونُ تسعةً وعشرين.
هُناكَ فارقٌ في التقديرِ بَينَ الَّذينَ يُقدِّرونَ وقتَ السَّنة الشَّمسيّة، والَّذينَ يُقدِّرونَ وقتَ السَّنة القَمَريَّة، فقد تكونُ هُناكَ زيادةٌ وقد تكونُ هُناكَ نَقيصةٌ، بالإجمال السّنةُ الشَّمسيةُ: (٣٦٥) يوم، والسّنةُ القَمَريّة: (٣٥٤) يوم، ربّما عَدَّها البعضُ (٣٥٥) يوم، الفارقُ في الأيّامِ بينَ السّنتين يصلُ إلى أحدَ عشرَ يوماً، بسببِ هذا الفارق فإنَّ أَشْهُرَ السَّنة القَمَريَّة تتحرَّكُ شيئاً فشيئاً إذا أردنا أن نُطابِقها وأنْ نُوافقها معَ السَّنة الشَّمسيّة، ولذا فإنَّ أَشْهُرَ السَّنة القَمَريَّة لا تكونُ ثابتةً بحسبِ الربيعِ والصيف والخريف والشتاء، وإنَّما يأتي الشَّهرُ القَمَريُّ تارةً في الربيع، وأُخرى في الصيف، وأُخرى في الخريف، ورابعةً في الشتاء..
التقويمُ عندَ العربِ لَهُ تأريخٌ، ولم يَكُن التقويمُ عندَ العربِ مثلما هو عندنا اليوم، ما يُسمَّى بالتقويمِ العربي الَّذي سُمِّي بعدَ ذَلكَ بالتقويم الهِجريّ وفقاً لهجرة رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عليه وآله، العربُ كانوا يمتلكونَ تَقويماً لكنَّهُ لم يَكُن مُتطوراً كالتقويم الَّذي يمتلكهُ الرومانُ مثلاً، أو كالتقويم الَّذي يمتلكهُ الصينيونَ مَثلاً، أو كالتقويمِ الَّذي يمتلكهُ اليهود، ولكنَّهُ تطوّرَ شَيئاً فَشيئاً.
العربُ مثلاً في قديم تأريخهم لم تَكُن الأيَّامُ عندَهُم كُلُّ يَوْمٍ يَحْمِلُ اسْماً وإنَّما كُلُّ ثلاثة أيَّامٍ تَحملُ اسماً، فحينما يُقالُ مثلاً: غُرّة رجب، إنَّهُم لا يتحدَّثونَ عن يومٍ واحد يَتحدَّثونَ عن الأيَّام الثلاثة الأولى من شهرِ رجب، وهكذا من كُلِّ شَهْرٍ، فيقولونَ: أوَّلُ الغُرّةِ وأوسطُ الغُرّةِ وآخرُ الغُرّة، وهكذا يُسمّونَ الأيَّامَ الثلاثةَ الَّتي تأتي بعدَ الغُرّة اسماً، وتَطوَّرَ هذا الأمر عندَ العربِ حتَّى سُمِّيت الأيَّام.
العربُ يحتاجونَ معرفة الوقت لتجارتهم، وكذلك يحتاجونَ معرفةَ الوقت لتَنقُّلاتهم، يحتاجونَ معرفة التوقيت لتربية حيواناتهم ولصيد الحيوانات البَرِّيَّة وللانتقال إلى المواطن الَّتي يتوفَّرُ فيها الماءُ في فَصلِ الصيف مثلاً حينما تَجفُّ الأحواضُ والمنابعُ الَّتي يعيشونَ عندَها، فَهُم يحتاجونَ إلى الماء لحياتهم البشريّة ولحياة حيواناتهم الَّتي هي أساسُ ثروتهم وأساسُ قُدرتهم العسكريّة للدفاعِ عن أنفُسهم، فالعربُ قبائلُ كانت تَعتَاشُ على الغزو وعلى السَّلْبِ والنَّهْب، شُؤونُهم تَبتَني على التقويم فَهُم لا يجدونَ في ا لتقويم القَمَريّ حاجتهم، لَمَّا نَظَروا إلى حياة اليهود ووجدوها مُنْتَظمةً وفقاً للتقويم الَّذي ابتدعوه تأثَّروا بهم واستعملوا أُسلوباً مُشابِهاً لأسلوب اليهود في كَبْسِ السَّنوات، فأخذوا يُضيفونَ شَهْراً كبيساً للأَشْهُرِ القَمَريَّة في كُلِّ ثلاثَ سنوات، وتحديداً مثلما يُحدِّثنا المؤرخون ويتحدَّثُ عن هذا الموضوعِ الَّذينَ يتابعونَهُ ويهتمّونَ به فإنَّهم يُضيفونَ شَهْراً كَبيساً بَعدَ الشَّهر الثامنِ منَ السَّنة الثالثة، بعدَ اثنين وثلاثين شَهْراً يُضيفونَ شَهْراً كبيساً وبهذا تكونُ الأَشْهُرُ القَمَريَّةُ بحسب التقويم العربي قبلَ الإسلامِ ثابتةً أيضاً مثلما الأَشْهُرُ القَمَريَّةُ في التقويم اليهودي.

هذا التقويمُ لا نستطيعُ أنْ نَصفَهُ بأنَّهُ تقويمٌ شمسيّ خالِص، ولا نستطيعُ أنْ نَصِفهُ بأنَّهُ تقويمٌ قَمريّ خالِص، هذهِ عمليّةٌ مُواءمةٍ ومُمازجةٍ بينَ التقويمين..

بحسبِ ثقافة العترة الطاهرة:

- هُناكَ تقويمٌ شَمسيٌ ننتفعُ منهُ في شؤونِ حياتنا الدُّنيوية.
- وهُناكَ تقويمٌ قَمَري ننتفعُ منهُ في شؤونِ حياتنا الدِّينية.
- وليسَ هُناكَ من مُمازجةٍ بينَ التقويمين.

ما كَثُرَ الحديثُ عنه في العَقدينِ الأخيرين وربَّما قَبلَ العَقدينِ الأخيرينِ بشيء قليل، حيثُ أُلِّفت كُتُبٌ، وانتشرت دَعواتٌ، وصَدرت فتاوى إلى غيرِ ذلك منَ الرُجوعِ إلى كَبسِ السَّنواتِ القَمريَّة كي تأتي مُوائمةً للتقويم الشَّمسي مثلما ابتدَعَ اليهودُ في دينهم مُنذُ قديم الأزمان، وأخذوا يُمازجونَ بينَ شُؤونهم الدُّنيويَّة، وبينَ مُناسباتهم الدِّينيّة، فجاءوا بتقويمٍ مزدوجٍ من شُهورٍ قَمريَّة وسَنواتٍ شَمسيّة، وهذا فَعَلَهُ العربُ في جاهليّتهم، لكنَّ الإسلامَ جعلَ التقويمَ الشَّمسيّ تقويماً مُنْفَصِلاً عن التقويم القَمري، فنحنُ في ثقافة الكتابِ والعترة نعملُ بالتقويمين معاً، التقويمُ الشَّمسيّ يُعْمَلُ بهِ في مَجالِه، والتقويمُ القَمريُّ يُعْمَلُ بهِ في مَجالِه، أمَّا أن نُمازجَ بينَ التقويمين فهذا يُخالفُ منهجَ العترة الطاهرة..

الـمُفَضَّلُ بنُ عُمر الجُعْفي رِضوانُ اللّه تعالى عليه أيَّامَ إمامنا الصَّادقِ صلواتُ اللّه وسَلامُهُ عليه في مَرّةٍ منَ المرّات حينما كانَ في المدينة المنوّرة دَخلَ إلى مَسجد رسولِ اللّه صلَّى اللّهُ عليه وآله فوجدَ شخصينِ من الدَّهريّين الَّذينَ يُسمَّونَ في زماننا بالملحدين، مِنَ الَّذينَ يُنكرونَ وجودَ الإله، لا أُريدُ أن أدخُلَ في تفاصيلِ قُصَّته وحديثه معَ هذينِ الشَّخصين، بعدَ ذلكَ ذهبَ إلى زيارة إمامنا الصَّادق صلواتُ اللّه وسلامُهُ عليه، الـمُفَضَّلُ هو الَّذي يَقُول: **فَخَرَجْتُ منَ الـمَسْجِد مَحْزُوناً مُفكِّراً** - لماذا؟ لما سمعَهُ من كلامِ هذينِ الْمُلْحِدَيْن بحسبِ المصطلحات المعاصرة - **فيمَا بُلِي به الإسلامُ وَأَهْلُهُ من كُفْرِ هذه العصابَة** - هذه العَصابة الدهريّة، منَ الدهريّين الَّذينَ يُنكرونَ وجودَ الإله، وبالتالي فليسَ هُناكَ من نُبُوّات، وليسَ هُناكَ من غَيبٍ، وليسَ هُناكَ من عالمٍ بعدَ الموت، إلى سائرِ ما يُنكرونَ وما يعتقدونَ من أضاليلهم - **وَتَعْطِيلِهَا** - من الدَّهريّين - **فَدَخلْتُ عَلَى مَوْلاَي** - يُشيرُ إلى إمامنا الصَّادق - **فَرآنِي مُنْكَسِراً فَقَالَ: مَا لَكَ يَا مُفَضَّل؟ فَأَخْبرتُهُ بِمَا سَمِعْتُ منَ الدَّهْرِيِّين** - من هَذَيْنِ الشَّخْصَين - **وَمَا رَدَدْتُ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ: يَا مُفَضَّل لَأُلْقِيَنَّ إِلَيْكَ من حِكْمَةِ البَارِي جَلَّ وَعَلا وَتَقَدَّس اسْمُه فِي خَلْقِ العَالَمِ وَالسِّبَاعِ وَالبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ وَالهَوَامِّ** - "الهَوامّ"؛ الحشرات والديدان - **وَكُلِّ ذي رُوحٍ منَ الأَنْعَامِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرَةِ الْمُثْمِرةِ وَغَيْرِ ذَات الثَّمَر وَالحُبُوبِ وَالبُقُولِ الْمَأْكُول من ذَلك وَغَيْرِ الْمَأْكُول مَا يَعْتَبِرُ بِهِ الْمُعْتَبِرُون، وَيَسْكُنُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ الْمُؤْمِنُون وَيَتَحَيَّرُ فيه الْمُلْحِدُون** - "الْمُلْحِدونَ"؛ لا يُرادُ منهُم الدَّهريّونَ فقط، وإنَّما كُلُّ الَّذينَ يميلونَ بالحقِّ وينحرفونَ عنه، في زماننا يُطْلَقُ هذا المصطلحَ (الْمُلْحِدُون) على الدَّهريّينَ فقط، ولكن في زمان الأئمَّة يُطْلَقُ هذا المصطلحُ وهو مُصطلحٌ قُرآنيٌ أساساً يُطْلَقُ على الَّذينَ ينحرفونَ عن مسار الحقّ، فالإلحادُ انحرافٌ وإمالةٌ - **فَبكِّر عَلَيَّ غَداً** - في اليوم الثاني انطلقَ الـمُفَضَّلُ بنُ عُمَر إلى إمامنا الصَّادق، وبدأ الإمامُ يُمْلي عليه فأملى عليه كتاباً لَيسَ كَبيراً، فأملى عليه كتاباً يُعْرَفُ في الأزمنة المتأخِّرة (بتوحيد الـمُفضَّل)، حينما أقولُ في الأزمنة المتأخِّرة أتحدَّثُ عنِ القُرون المتأخِّرة، كانَ يُعْرَفُ بكتابِ (فَكِّر)، أحاديثُ أملاها إمامُنا الصَّادقُ على الـمُفَضَّلِ بنِ عُمر.

في رجال النجاشي، زُوْراً سُمي برجال النجاشي، الاسمُ الحقيقيُ لهذا الكتاب (فهرستُ النجاشي)، لأنَّهُ ما هو بكتابِ رجال، هو كتابُ فهرست لذكرِ مُؤلِّفي الشيعة وكُتُبهم ممَّن استطاعَ النجاشيّ أن يجمعَ المعلوماتِ والمعطياتِ عنهُم، بعضُ مراجع الشيعةِ زَوَّرَ الاسم كي ينتفعَ من الكتابِ هذا كتاباً في علمِ الرجالِ لتهديم حديثِ أهلِ البيت.

رجال النجاشي/ طبعةُ مؤسّسة النشر الإسلامي/ قُم المقدَّسة/ صفحة ٤١٦/ رقم الترجمة (١١١٢): **مُفَضَّل بنُ عُمَر** - النجاشيُ يَقْدَحُ فيه، أنا لا أريد أن أتحدَّثَ عن موقف النجاشي منَ الـمُفَضَّل بنِ عُمَر لا شأنَ لي بهذا الموضوع، ما ذكرهُ من كُتُبٍ للمُفَضَّل قالَ: **لَهُ كتابُ الإيمان، ولَهُ كتابُ يومِ وليلة** - يعني في عمل اليوم والليلة - **وكتابٌ فَكِّر، كتابٌ في بَدْءِ الخَلْق والحَثّ على الاعتبار** - هُناكَ وصيَّةُ الـمُفَضَّل، هُناكَ عِلَلُ الشرائع، حديثُنا عن كتابه الَّذي عُنوانهُ: (فَكِّر)، وهُو ما أملاهُ إمامُنا الصَّادقُ على الـمُفَضَّل، هذا أقدمُ فهارس الكتبِ عندنا فهرستُ النجاشي فقد ذَكَرهُ بهذا العنوان: (كتاب فَكِّر)، ولم يُعنونهُ بكتاب التوحيد.

أمّا الطوسي المتوفّى سنة (٤٦٠) للهجرة، النجاشي مُتوفّى سنة (٤٥٠) للهجرة، كتابهُ الفهرست/ طبعةُ مُؤسّسة نشر الفقاهة/ إيران/ صفحة ٢٥١/ برقم (٧٥٨): **"الـمُفَضَّلُ بنُ عُمَر"**، ذَكَرَ لهُ وصيَّةً، وذَكَرَ لهُ كتاباً من دُونِ عُنوان، هذا هو الَّذي جاءَ في فهرست الطوسي.

(معالمُ العُلماء) لابن شهر آشوب المازندراني، مَعالمُ العُلماء في فهرست كُتُب الشيعة، ابنُ شهر آشوب متوفّى سنة (٥٨٨) للهجرة/ طبعةُ نشر الفقاهة/ إيران/ قُم المقدَّسة/ الطبعةُ الأولى/ ١٤٢٥ هجري قمري/ الصفحة الأربعين بعدَ المئة/ برقم (٨١٠): **الـمُفَضَّلُ بنُ عُمَر، لَهُ وصيَّةٌ** - في كتابٍ خاصٍ يُعرَفُ بالوصيَة - **ولَهُ كتابٌ** - ولم يَذْكُر عنوانهُ، إنَّهُ يُشيرُ إلى كتابِ فَكِّر - **ولَهُ كتابٌ، والاهليلجةُ من إملاء الصَّادقِ في التوحيد** - لَهُ كتابٌ أيضاً يُعْرَفُ بكتابِ الاهليلجة أو بحديثِ الاهليلجة، "الاهليلجةُ"؛ نباتٌ هنديٌ يَستعملهُ الأطبّاءُ القُدامى، وهو يَشتملُ على مُحاورةٍ بينَ إمامنا الصَّادقِ وطبيبٍ هنديٍ، الإمامُ الصَّادقُ اتَّخذ الاهليلجةَ الَّتي كانت في يدِ ذلك الطبيبِ الهنديِ مثالاً وبدأ الحوارُ فيما بينَهُما في موضوع التوحيد، وهذا الكتابُ موجودٌ بينَ أيدينا والحديثُ معروفٌ في جوامع الحديث، فليسَ هُناكَ من ذكرٍ لكتابٍ للمُفَضَّل عُنوانهُ التوحيد.

في الجزء الأوَّل من بحار الأنوار للمجلسي/ طبعةُ دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ لبنان/ الصفحة السادسة: **الفصلُ الأوَّل: في بيان الأصولِ والكُتُبِ المأخوذ منهم** - إنَّها مصادرُ موسوعة بحار الأنوار - **وهي** - فيبدأُ المجلسيُ بذكرِ الكُتُب، إلى أن يصلَ في الصفحة الرابعة بعدَ العاشرة: **وكتابا؛ "التوحيد والاهليلجة"، عن الصَّادقِ برواية الـمُفَضَّلِ بنِ عُمَر** - هنا المجلسي سمّى الكتابَ بكتاب التوحيد، وإلَّا ففي كُتُبنا القديمة مثلما قرأتُ عليكُم من فهرست النجاشي الَّذي يُسمّى الآن برجال النجاشي عُنوانُ الكتاب (فَكِّر).

في الجزء الثالث من بحار الأنوار/ طبعة دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ لبنان/ يبدأ الكتاب من الصفحة السابعة والخمسين/ البابُ الرابع تحتَ هذا العُنوان: **"الخَبرُ الـمُشْتَهِر بتوحيد الـمُفَضَّلِ بنِ عُمَر"**، إنَّهُ كتابُ فَكِّر.

لماذا سُمِّي بكتابِ فَكِّر؟! لأنَّ الإمام يُكَرِّرُ هذه الكلمة وهو يُحدِّثُ الـمُفَضَّلَ بنَ عُمَر: (فَكِّر يَا مُفَضَّل بِكَذا وكَذا، فَكِّر يَا مُفَضَّل بِكَذا وكَذا)، فكلمةُ (فَكِّر) تَتكرّرُ في طوايا حديث الإمامِ الصَّادق صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، وينتهي كتابُ فَكِّر أو ما يُعرَفُ بكتاب التوحيد في الصفحة الحاديةِ والخمسين بعدَ المئة، مُباشرةً يبدأ كتابُ "الاهليلجة"، ولا شأنَ لنا بموضوعه، موضوعهُ في التوحيد أيضاً..

النُصيريّونَ يَعدّونَ هذا الكتابَ من كُتُبهم:

الجزءُ السادسُ من سلسلة التُراث العَلَويّ (المجموعةُ الـمُفضَّليّة)، لكنَّهم يُسمّونَ الـمُفَضَّل بنَ عُمَر بالْمُفَضَّل ابنِ عَمْر، الَّذي نعرفهُ في كُتُبنا ورواياتنا في أجواءِ شيعة الحُجَّةِ بنِ الحسن صلواتُ اللّه عليه إنَّهُ الـمُفَضَّلُ بنُ عُمَر الجُعفي، ولكن في أوساط النصيريّين، في أوساطِ هؤلاء الغُلاة يَعرِفُونهُ بالْمُفَضَّلِ بنِ

عَمْر، طبعةٌ دار لأجلِ المعرفة، ديار عقل، لبنان، المجموعةُ بتحقيقِ وتقديمِ أبو مُوسى والشيخ موسى، من الصفحة السابعةِ والستين بعدَ المئة، عَنْوَنوا الكتابَ "بِكتابِ التوحيد"، كتابُ التوحيد للمُفَضَّل بنِ عَمْر وينتهي عندَ الصفحة السادسة والعشرين بعدَ المئتين، وبعدَهُ يأتي كتابُ (الاهليلجة).

الكتابُ الَّذي أريدُ أَنْ أقرأ عليكُم منه، إنَّهُ كتابُ فَكِّر، كتابُ التوحيد لَلمُفَضَّل بنِ عُمَر/ طبعةٌ بتحقيقِ قيس العطّار/ دارُ زين العابدين/ الطبعةُ الأولى/ ٢٠٢٢ ميلادي/ قُم المقدَّسة/ قرأتُ منها من الصفحة الثامنة والستين المقدِّمة ما قرأتهُ من كلامِ المُفَضَّلِ بنِ عُمَر كيفَ أنَّهُ ذهبَ إلى إمامنا الصَّادق فرآهُ مُنكَسراً إلى بقيّة ما قرأتهُ عليكم، كتابُ فَكِّر أو ما يُعرَفُ بكتاب التوحيد كتابٌ جميلٌ، قطعاً الإمامُ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه أملى ما أملى من المعلومات على المُفَضَّلِ بنِ عُمَر بما يناسبُ ذلكَ الزَّمان ومع ذلكَ فإنَّنا نَجِدُ المعلومات مُنسجِمةً جِدّاً مع زماننا هذا، واضحٌ من كلامِ إمامنا الصَّادقِ فإنَّهُ كانَ يُجيبُ على كلامِ أولئكَ الدَّهريّين وأمثالهم من المُلحدين، منَ المنحرفينَ عن جادَّةِ الحقّ والهدى، الكتابُ تَعرَّضَ إلى تحريفٍ وتصحيفٍ كبقيّةِ كُتُبنا.

قبلَ أنْ أذهبَ إلى موطن الحاجة أُريدُ أنْ أَلفتَ نَظَرَكُم إلى لَقطات جميلة في هذا الكتابِ كي تعرفوا مستوى المعلومات الَّتي عُرِضَت في هذا الكتاب، مثلاً هذه اللقطةُ الجميلةُ، الجميلةُ في حكْمَتها، الجميلةُ في الالتفات إليها، الجَميلةُ في تنبيهِ إمامنا الصَّادقِ عليها، في الصفحة الثامنة والثلاثين بعدَ المئة الإمامُ يقولُ للمُفَضَّل: **فَكِّر يَا مُفَضَّل فَكِّر** - من هُنا سُمّي الكتابُ؛ (بكتابِ فَكِّر)، أئمَّتُنا يُريدونَ منَّا أَنْ نَحترمَ عُقُولَنا لا أَنْ نَكونَ حَميراً دَيخيين.

هذا هو الَّذي يُريدهُ أئمَّتُنا يُريدونَ مَنْهَجَ فَكِّر، هذا هو السَّببُ الَّذي دعاني أَن أَركِّزَ على عُنوان الكتاب، أردتُ أن أَلْفِت أنظاركم إلى أنَّ منهجَ أئمَّتنا هو هذا إنَّهُ؛ "منهج فَكِّر".

-**فَكِّر يَا مُفَضَّل فِي خِلْقَة عَجِيبة** - "فِي خِلْقَة عَجِيبةٌ"؛ في طَبْيعة، في غريزة هذا هو المراد - **جُعِلَت فِي البَهَائِم** - في الحيوانات، ما هي هذه؟ - **فَإِنَّهُم** - الحيوانات - **يُوَارُونَ أَنْفُسَهُم إِذَا مَاتُوا كَمَا يُوَارِي النَّاسُ مَوتَاهُم وَإِلَّا فَأَينَ جِيفُ هذه الوُحُوش وَالسِّبَاع وَغَيرِها** - عددُ الحيوانات أكثرُ من عدد النَّاس، حيواناتُ البحار أكثرُ من حيوانات البرّ، الطيورُ بأصنافها، السباعُ، إذا ما ذهبنا إلى الغاباتِ فلن نَرى أجساداً لهذه الحيوانات الميتة، وإذا ما ذهبنا إلى الصحاري فلن نرى أجساداً لا للطيور ولا للحيوانات الزَّاحفة ولا للحشرات كم هُوَ عدد الحشرات؟ أين هي الحشرات الَّتي يأتي أجَلُها؟ الحيواناتُ الَّتي تَتعرّضُ لحادثٍ طارئٍ نَرى أجسادَها، مَثلاً حيوانٌ يَعبُرُ الطريقَ العام فتقتلهُ سيّارةٌ من السيارات حينما تَضربهُ أو تَدهَسُه تبقى جُثَّةُ ذلكَ الحيوان مَرميّةً في الطريقِ أو على جانبِ الطريق وتَتعفَّنُ، لو كانت أجسادُ الحيوانات بأجمعها تبقى مَلقيّةً سيتعفَّنُ الماءُ ويتعفَّنُ التُرابُ ويتعفَّنُ الجوّ، لكنَّنا لا نلتفتُ إلى هذه الحقائق الَّتي من حولنا، أينَ جُثَثُ الطيور؟ أينَ جُثَثُ الحشرات؟ أينَ جُثَثُ الحيوانات الزاحفة وأعدادُها هائلةٌ جِدّاً؟ أينَ جُثَثُ سائر الحيوانات؟ الغاباتُ لا يوجدُ فيها شيء، البحارُ لا يوجدُ فيها شيء، معَ مَلاحظة أنَّ عددَ الحيوانات أكثرُ منَ الإنسان، ومُلاحظةٌ أخرى أنَّ أعمارها أقلُّ من أعمار الإنسان فهي تموتُ بنحوٍ أسرع زمانياً منَ الإنسان، عُمرُ الإنسانِ أطولُ من أعمارها فأينَ هذه الأجساد؟!

- **لا يُرى مِنْهَا شَيءٌ وَلَيسَت قَلِيلَةً فَتَخْفَى لِقِلَّتِها، بَل لَو قَالَ قَائِلٌ إِنَّها أَكثرُ مِنَ النَّاسِ لَصدَق فَاعْتَبِر ذَلك تَرَاهُ فِي الصَّحَارِي وَالجِبَال من أَسْرابِ الظِّبَاء وَالْمَهَا** - "الْمها"؛ هي الحيواناتُ الَّتي يُقالُ عنها البَقرُ الوحشي، "الظِّباء"؛ الغزلان - **وَالْمَهَا وَالْحُمير** - منَ الحمير الوحشي - **وَالوُعُول وَالأَيَائِل وَغَيرِ ذَلكَ مِنَ الوُحُوشِ وَأَصْنَافِ السِّبَاعِ مِنَ الأُسُد** - "الأُسد"؛ جمعٌ لأسد - **وَالضِّبَاعِ وَالذِّئابِ وَالنُّمُورِ وَغَيرِها وَضُروبِ الهَوَامِّ وَالحَشَرَات وَدَوَابِّ الأَرْضِ وَكَذَلكَ أَسْرَابُ الطَّيرِ مِنَ الغِرْبَانِ وَالقَطَا وَالاوَزّ وَالكَرَاكِي وَالحَمَامِ وَسِبَاعِ الطَّيرِ جَمِيعاً** - المرادُ من سباع الطَّير؛ كالصقُور مثلاً، كالشواهين مثلاً، إنَّها الطُيورُ المفترسةُ الَّتي تفترسُ الطيور الأخرى الَّتي تأكلُ اللحوم - **وَكُلُّهَا لَا يُرَى مِنْهَا شَيءٌ إِذَا مَاتَت إِلَّا الوَاحِدَ بَعدَ الواحد يَصيدهُ قَانِصٌ أو يَفترسُهُ سَبُعٌ فَإِذا أَحَسَّوا بِالْمَوت كَمَنوا فِي مَوَاضِعَ خَفِيَّة فَيَمُوتُونَ فِيهَا، وَلَوْلَا ذَلكَ لَامْتَلأَت الصَّحَارِي مِنْهَا حَتَّى تَفْسَدَ رَائِحَةُ الهَوَاء وَتَحدُثَ الأَمْرَاضُ وَالوَبَاء** - الأمراض على أنواعها، الوباء هي الأمراضُ الَّتي تنتشر انتشاراً واسعاً - **فَانْظُر إِلَى هذا الَّذي يَخْلُصُ إِلَيْهِ النَّاس** - حينما يموتونَ يُدْفَنون، يَدفُنُ بعضُهُم بعضاً النَّاس - **وَعَلِمُوه** - تَعلَّموهُ - **بِالتَّمْثِيلِ الأَوَّلِ الَّذي مُثِّلَ لَهُم** - مَن الَّذي مَثَّلَهُ لَهُم؟ جاء بِصُورة حيوانيّة.

في سورة المائدة، في قصّة ابني آدم هابيل وقابيل، الآية الثلاثين بعدَ البسملة من سورة المائدة وما بعدها: ﴿**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أخيه فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ** - حينما قتلَ قَابيلُ هابيل - **فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أخيه قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ**﴾، قصّة الغُرابين الَّذينَ رآهُما قابيل بعد أن قَتلَ هابيل وقد دَفَنَ الغُراب الحي الغُراب الميت.

هذا هو الَّذي يُشير إليه إمامُنا الصَّادقُ صلواتُ اللّه وسلامُهُ عليه: **فَانْظُر إِلَى هذا الَّذي يَخْلُصُ إِلَيْهِ النَّاس وَعَلِمُوه بِالتَّمْثِيلِ الأَوَّلِ الَّذي مُثِّلَ لَهُم كَيفَ جُعِل طَبْعاً وَإِذْكَاراً** - غَريزةً داخليّةً - **فِي البَهَائِمِ وَغَيْرِهَا.**

الغُرابانِ كانا منَ الملائكة بحسب الروايات والأحاديث، الملائكةُ عَلَّمت الإنسانَ كيفَ يقومُ بعمليّة دَفنِ أجساد الموتى، لكن في هذه البهائم جُعِلَ الأمرُ غريزياً، لماذا؟ - **لِيَسْلَمَ النَّاسُ من مَعَرَّةِ مَا يَحدثُ عَلَيهِم مِنَ الأَمْرَاضِ وَالفَسَاد** - بسببِ جِيفِ هذه الحيوانات الميّتة.

لقطةٌ جَميلةٌ جِدّاً ولقطةٌ يحتاجُ الإنسانُ أن يتوقَّفَ عندَها مُعتبراً ومُندَهشاً من حكمة اللّه سُبحانَهُ وتعالى، غَافلونَ نَحنُ عن كثيرٍ من الحقائق، هذه الأسئلةُ أسئلةٌ مُهمَّةٌ جِدّاً، لابُدَّ للإنسانِ أن يطرحَها على نفسه، لو أنَّ الشيعة كانوا بمستوياتٍ عاليةٍ من العِلْمِ والفَهْمِ لَحدَّثهم الأئمَّةُ بما هو أعمقُ وأعمق..

أنقلُ لَكُم لقطةً جميلةً أخرى:

إمامُنا الصَّادقُ يُحدِّثُ المُفَضَّلَ في موطنٍ آخر، في الصفحة السادسة والسبعين بعدَ المئة وما بعدها، يُحدِّثُ المُفَضَّلَ عن الأرض ومائها، وهُوَ يُلفتُ أنظارنا إلى قضيّةٍ أساسيّةٍ موجودة في حياتنا وتزدادُ أهميتُها يوماً بعدَ يوم، الإمامُ الصَّادقُ يقولُ للمُفَضَّل: **وَمن تَدبِيرِ الحَكِيمِ جَلَّ وَعَلا فِي خِلْقَة الأَرْضِ أَنَّ مَهَبَّ الشِّمَال** - الرياحُ الَّتي تأتي من الجهة الشِّماليّة، الحديثُ عن شمال الأرض - **أَرْفَعُ مِنْ مَهَبِّ الجَنُوب فَلِمَ جَعَلَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَذَلك؟** - لماذا - **إِلَّا لِتَنْحَدرَ الْمِياهُ عَلَى وَجه الأَرْض فَتَسْقِيهَا وَتَرْوِيهَا ثُمَّ تَفِيضَ آخِرَ ذَلك إِلَى البَحْر** - فنهاياتُ البحيرات والأنهارِ والجداول ومنابع العُيون نهاياتُها إلى البحار، هذا هو الَّذي يجري على أرض الواقع.

- **فَكَمَا يُرْفَعُ أَحَدُ جَانِبَيِ السَّطح وَيُخْفَضُ الآخَر لِيَنْحَدرَ المَاءُ عَنْه وَلَا يَقُومُ عَلَيه، كَذَلكَ جُعِل مَهَبُّ الشِّمَال أَرْفَعَ مِن مَهَبِّ الجَنُوب لِهَذه العِلَّة بِعَيْنِهَا وَلَوْلَا ذَلكَ لَبَقِيَ المَاءُ مُتَحيِّراً عَلَى وَجْه الأَرْض** - جامداً في مكانه، مُرادي من جامداً ليسَ الانجماد، وإنَّما جامداً ساكناً ليسَ مُتحركاً كمياه المستنقعات فحينما تَستقرّ ولا تتحرك تتحوَّلُ إلى مياه آسنة، وهذا هو السرّ في المدّ والجزر - **فَكَانَ يَمْنَعُ النَّاسَ من اعْتِمَالِها وَيَقْطَعُ الطُّرُقَ وَالْمَسَالك** - الإمامُ يتحدَّثُ في جهات يستطيعُ المتلقّينَ في زمانه أن يُدركوها وإلَّا فإنَّ القضايا أعمقُ من ذلك - **ثُمَّ المَاء لَوْلَا كَثْرَتُهُ وَتَدَفُّقُهُ فِي العُيُونِ وَالأَوْدِيَة وَالأَنْهَار لَضَاقَ عَمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاس** - وها نحنُ اليوم نُكْثِرُ من الحديث عن قلّة المياه في كُلِّ أنحاء العالَم - **لِشُرْبِهِم وَشُرْبِ أَنْعَامِهِم وَمَوَاشِيهِم وَسَقْيِ زُرُوعِهم وَأَشْجَارِهِم وَأَصْنَافِ غِلَّاتِهِم** - "غلّاتهم"؛ إنَّها أنواعُ المَزروعات - **وَشُرْبِ مَا يَرِدهُ من الوُحُوشِ وَالطَّيرِ وَالسِّبَاع وَتَتَقَلَّبُ فِيه الحِيتَانُ** - المرادُ من الحيتان الأسماك - **وَدَوَابِّ المَاء** - ما يُطلَقُ عليهِ في الثقافة المُعاصِرة الحيتان هي من دَوابّ المَاء، أمَّا الحيتانُ فَهِي الأسماك - **وَفِيهِ مَنَافِعُ أُخَر أَنْتَ بِهَا غَيرُ عَارِفٍ وَعَن عَظِيمِ مَوقِعِها غَافِلٌ**

فَإِنَّهُ سوَى الأَمْرِ الجَلِيلِ الْمَعْرُوف من عَظِيمِ غَنَائه فِي إِحْيَاء جَمِيعِ مَا عَلَى الأَرْض منَ الحَيَوانِ وَالنَّبَات مُمْزِجُ بِالأَشْرِبَةِ فَتَلِين وَتَطيبُ لشَارِبِها وَبِه تُنَظَّفُ الأَبْدَانُ وَالأَمْتِعَةُ منَ الدَّرَنِ - "مِن الدَّرَن"؛ مِنَ الأَوْسَاخِ والقَذارَة - **الَّذِي يَغْشَاهَا وَبِه يُبَلُّ التُّرَاب فَيصلُحُ للاعْتِمَال وَبِه تُكَفُّ عَادِيَةُ النَّارِ إِذا اضْطَرمت وَأَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى الْمَكْرُوه، وَبِه يُسِيغُ الغَصَّانُ مَا غَصَّ بِه فَيَنْجُو بِه منَ الْمَوْت، وَبِه يَسْتَحِمُّ الْمُتْعَبُ الكَالُّ فَيَجِدُّ الرَّاحَة من أَوْصَابِه** - "الأوصاب"؛ الأوساخُ والأوجاعُ الجسديّةُ والنفسيّةُ - **إِلَى أَشْبَاه هَذه منَ الْمَآرِبِ الَّتي تَعرِفُ عظَم مَوْقعهَا فِي وَقت الحَاجَة إِلَيْهَا** - إنَّهُ يتحدَّثُ مع المُفَضَّل بِحُدود ما يعرف - **فَإِنْ شَكَكْتَ** - الكلامُ الجميلُ هُنا - **فَإِنْ شَكَكْتَ فِي مَنْفَعَة هَذَا الْمَاء الكَثِير الْمُتَرَاكِم فِي البِحَار وَقُلْتَ مَا الأَرَبُ فِيه؟** - ما هي هذه الحكمةُ من كَثرة المياه في البحار؟ "الأَرَبُ"؛ الحكمةُ، الفائدةُ، المنفعة - **فَاعْلَم أَنَّهُ مُكْتَنَفُ وَمُضْطَرِبٌ مَا لَا يُحصى منْ أَصْنَاف السَّمَك وَدَوَابِّ البَحْر وَمَعْدن اللُّؤْلُؤ وَاليَاقُوت وَالعَنْبَر** - نوعٌ من الطِّيبِ يُستخرَجُ من البحار - **وَأَصْنَافَ شَتَّى تُسْتَخْرَجُ منَ البَحْر وَفِي سَوَاحله مَنَابِتُ العُوْد اليَلَنْجُوج** - "العُودُ اليَلَنْجُوج"؛ هو من أطيبِ أنواعِ عُود البخور - **وَضُرُوبٍ منَ الطِّيبِ وَالعَقَاقِير** - عقاقير الطب - **ثُمَّ هُوَ بَعْدُ** - هذا الأمرُ المُهمُّ الَّذي قد لا نلتفتُ إليه كثيراً، في ذلكَ الزمانِ أهميّتُهُ ليست كأهميّته في زماننا اليوم - **ثُمَّ هُوَ بَعْدُ مَرْكَبٌ للنَّاس وَمَحْمَلٌ لهذه التجَارَات الَّتي تُجْلَبُ منَ البُلْدَان البَعيدَة كَمثْلِ مَا يُجْلَبُ منَ الصين إِلَى العرَاق** - عبرَ البحارِ في تلكَ الأزمنة - **وَمنَ العرَاق إِلَى الصين، فَإِنَّ هذه التجَارَاتِ لَوْ لَم يَكُن لَهَا مَحْمَلٌ** - كالبحر - **إِلَّا الظَّهْر** - "إِلَّا الظَّهْر"؛ المرادُ ظُهور الحيوانات - **لَبَارَت وَبَقِيَت فِي بُلْدَانها وَأَيْدي أَهْلِهَا** - حياتُنا قائمةٌ على النقلِ البحري، هذا الأمرُ لم يكُن في زمانِ إمامنا الصَّادقِ كزماننا اليوم، هذهِ الحقائقُ حقائقُ يومِنا هذا، عجيبةٌ هذه المعلوماتُ!!

لاحظوا الدقَّة هُناكَ تشخيصٌ اقتصاديٌّ: **لأَنَّ أَجْرَ حَمْلِهَا كَانَ يُجَاوِزُ أَثْمَانَها** - إذا أردنا أنْ نَحملها على ظُهور الحيوانات، بالضبط كالنقلِ في الطائراتِ والنقلِ في السيّاراتِ والقطارات، النَّقلُ البحريُّ من الجهة الاقتصاديّة أفضلُ بكثيرٍ من النَّقل بالسيّاراتِ والقطاراتِ والطائرات.

- **فَلَا يَتَعَرَّضُ أَحَدٌ لحَمْلِهَا، وَكَانَ يَجْتَمِعُ فِي ذَلِكَ أَمْرَان؛ أَحَدُهُمَا فَقْدُ أَشْيَاءَ كَثِيرة تَعْظُمُ الحَاجَةُ إِلَيْهَا** - ستبقى موجودةً في بلادها ولا تنتقلُ إلى البلاد الأخرى - **وَالآخَرُ انْقطَاعُ مَعَايِشَ مَنْ يَحْمِلُهَا وَيَتَعَيَّشُ بِفَضْلِهَا** - إنَّهُ الكسادُ الاقتصاديُّ والتجاري، هذا هو الوعيُ الَّذي يَضخُّهُ إمامُنا الصَّادقُ في أذهانِ الشيعةِ ونحنُ نتحدَّثُ عن بداياتِ القرن الثاني الهجري..

لقطةٌ ثالثة:

في الصفحة الثامنة والسبعين بعدَ المئة، أأخذ لكم لقطاتٍ سريعةً تتلمَّسونَ أهميّتها في يومنا هذا في واقعنا اليوم، إمامُنا الصَّادقُ يتحدَّثُ بوضوحٍ عن أيِّ شيء؟ عن الاحتباس الحراري الَّذي يتحدَّث عنهُ العُلماءُ، وهُناكَ الكثيرُ من الأغبياء من المسلمين السُّنَّة والشيعة من أصحابِ العمائمِ الحميرِ والثيرانِ يقولونَ عن الاحتباس الحراري إنَّها مُؤامرةٌ!! إمامُنا الصَّادقُ يتحدَّثُ عن الاحتباس الحراري: **وَهَكَذَا الهَوَاء** - بعدَ أنْ تحدَّثَ عن كَثرة الماء يقول: **لَوْلَا كَثْرَتُهُ وَسَعَتُهُ لَاخْتَنَقَ هَذَا الأَنَام** - الأنام من النَّاس والحيوانات، من أيِّ شيء؟ - **منَ الدُّخَانِ وَالبُخَارِ الَّذِي يَتَحَيَّرُ فِيه** - هذا هو التلوّثُ الَّذي يُسبِّبُ الاحتباس الحراري - **وَلَعَجَزَ عَمَّا يَحُولُ إِلَى السَّحَابِ وَالضَّبَاب** - لماذا ذهبَ الضَّبابُ في كثيرٍ من مناطق العالَم؟ بسببِ هذا الاحتباس، والضَّبابُ ظاهرةٌ صحيَّةٌ للهواءِ وللأرضِ وللحيوانات وللنباتات - **وَقَدْ تَقَدَّمَ منْ صفَته مَا فيه كفَايَة** - تحدَّثَ عن هذه الموضوعات في جهاتٍ أُخرى، فأنا لا أقرأُ من أوَّلِ الكتاب.

في زمان الأئمَّة عددُ النَّاس كانَ قليلاً، التلوّثُ الصناعيُّ ليس موجوداً، إذا كانَ هُناكَ من تلوّث فإنَّهُ لا يُذكَر، لا قيمةَ لهُ بالقياسِ إلى التلوّث الحادث في أيَّامنا.

في الصفحة السَّابعة والستين بعدَ المئة من كتابِ فكِّر، الإمامُ يقولُ للمُفَضَّل: **فَكِّر، فَكِّر فِي هَذَا الفَلَك بِشَمْسه وَقَمَره وَنُجُومه وَبُرُوجه** - إنَّهُ يُلفِتُ نظرَهُ إلى الفضاء، الشَّمس، القَمَر، النُّجوم واضحةٌ لديكم، أمَّا البُروج فالمرادُ من البُروج هي منازلُ ومواطنُ ومواضعُ حركةِ هذه الأجرام - **تَدُورُ عَلَى العَالَم هَذَا الدَّوَران** - الحديثُ هُنا عن دَوران الفَلَك، والمرادُ من الفَلَك: المجرّةُ بكاملها وما فيها من حركةٍ مُنتظمة - **الدَّوَران الدَّائم بِهَذَا التَّقْدِير وَالوَزْن لمَا فِي اخْتِلَاف اللَّيل وَالنَّهَار وَهَذه الأَزْمَان الأَرْبَعَة الْمُتَوَالِيَة** - يتحدَّثُ عن الربيعِ والصيف والخريف والشتاء - **منَ التَّنْبِيه عَلَى الأَرْض وَمَا عَلَيْهَا منْ أَصْنَاف الحَيَوَان وَالنَّبَات من ضُرُوب الْمَصْلَحَة كَالَّذِي بَيَّنْتُ وَشَخَّصْتُ لَكَ آنِفاً** - ما تحدَّثَ به الإمامُ فيما سلفَ من حديثه مع المُفَضَّل - **وَهَلْ يَخْفَى عَلَى ذي لُبٍّ أَنَّ هَذَا تَقْدِيرٌ مُقَدَّرٌ وَصَوَابٌ وَحِكْمَةٌ منْ مُقَدِّرٍ حَكِيم** - الإمامُ أشارَ إلى نُقطتين: أشارَ إلى أنَّ حركةَ الأفلاك، أنَّ حركةَ الشَّمس، حركةَ الأرض، حركةَ القَمَر، حركةَ سائرِ النُّجوم ترتبطُ بحياةِ الحيواناتِ والنَّباتات، وهُناكَ ارتباطٌ بينَ تَقَلُّبِ أحوالِ الجوِّ ما بينَ الفُصول الأربعة وفي هذه الحيواناتِ والنباتاتِ منَ الخصائصِ والعلاقاتِ الَّتي لها عُلقةٌ بما يَجري في تَغيّرات الفُصول بخصوصِ نُمُوّها، بخصوصِ ما تُنتجهُ، بخُصوصِ ثمارِها إذا كانَ الكلامُ عن النباتات، وبخُصوصِ تزاوجها وتَناسُلها وتوالدها إذا كانَ الكلامُ عن الحيوانات.

فهذا الاختلافُ اليومي في اللَّيلِ والنَّهار ينعكسُ حتَّى على حياتنا، أليسَ هُناكَ من هرموناتٍ نَهاريَّة وهُرموناتٍ ليليّة؟ أليسَ هُناكَ من نشاطٍ جسديٍّ في سلسلة وظائف الأعضاء الداخليّة للإنسان منها ما يرتبطُ بالنَّهارِ ومنها ما يرتبطُ باللَّيل، عمليّةُ الأيض في هضمِ الطعامِ وتَمثيله وتَحويله إلى وَقودٍ وطاقة، عمليّةُ الأيض بكُلِّ تفاصيلها المعقَّدة، أليسَ منها ما يرتبطُ بالنَّهارِ ومنها ما يرتبطُ باللَّيل؟ وهُناكَ تقسيمٌ دقيقٌ لوظائف الأعضاء بخصوصِ هذه العمليّة، والأمرُ هُوَ هُوَ يحدُثُ في الاختلاف السّنوي.

أعتقدُ أنَّ حديثاً تَحفَظُونَهُ أو أنَّكُم سَمعتُم بِه: (**منَّ أَنَّكُم تَوَقَّوا البَرَدَ فِي أَوَّله وَتَلَقَّوهُ فِي آخره** - لماذا؟ - **لأَنَّهُ يَفْعَلُ فِي الأَبْدانِ مِثْلَمَا يَفْعَلُ فِي الأَشْجَار**)، القضيّةُ ترتبطُ بالإنسانِ وحياته، وحياةُ الإنسانِ مُرتبطةٌ بشكلٍ مُباشرٍ بالحيواناتِ والنباتات.

- **فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّ هَذَا شَيءٌ اتَّفَقَ أو اتُّفِقَ أَنْ يَكُونَ هَكذا،**

فَمَا مَنَعَهُ أَنْ يَقُولَ مثلَ هَذَا فِي دُوْلَابٍ يَرَاهُ يَدُور وَيَسْقِي حَدِيقَةً فيهَا شَجرٌ وَنَبَات فَيَرى كُلَّ شَيء من آلَاته - من آلاتِ ذَلك الدُّولاب، لأنَّهُ يَتحرَّكُ بحيث أنَّ الماءَ يَنتقلُ من وعاءٍ إلى وعاء، لأنَّ الدُّولاب يتكوَّنُ من مجموعةِ أوعيةٍ يُفرِغُ بعضُها في البعضِ الآخر أثناءَ حركته كَي يَصِلَ الماءُ إلى السواقي الصغيرةِ لسقي أشجارِ تلكَ الحديقة.

- **كُلَّ شَيء من آلَاته مُقَدَّراً بَعْضُهُ يَلْقَى بَعْضاً عَلَى مَا فِيه صَلَاحُ تِلْك الحَدِيقَة** - أعتقدُ أنَّ الأدقَّ أن تُقرأ: (يُلْقَى) أو (يُلْقِي)، ما في الوعاء الأوَّل يُلْقَى على الوعاء الثاني وهكذا.

- **وَمَا فِيهَا، وَمِمَا كَانَ يُثْبِتُ هَذا القَوْلَ لَوْ قَالَه** - كيفَ يُثبِتُ صحَّة قَوْله إذا قالَ أنَّ الدُّولابَ الَّذي يَسقي الحديقةَ هكذا صُنعَ بشكلٍ اتِّفاقيٍّ تكوَّنَ صُدفةً، هل يُستطيع أنْ يُثبتَ صحَّة قوله هذا؟ فلماذا يرى قَولَهُ صحيحاً وهو يتحدَّثُ عن هذا الكون العظيم؟!

- **وَمَا تَرَى النَّاسَ كَانُوا قَائلِينَ لَهُ لَوْ سَمعُوه منْه؟** - لو سمعوا أنَّهُ يَقُول من أنَّ الدولابَ في الحديقة هكذا وُجِدَ من دُونِ صانع! النَّاسُ سيعترضونَ عليه، لكنَّهُم لا يعترضونَ على المُلحدين حينما يقولونَ من أنَّ الكَونَ العَظيمَ هذا جاء من دُونِ خالق، ويقولونَ لَهُم الحقّ - **أَفَيُنْكِرُ أَنْ يَقُولَ فِي دُولَابٍ خَشْبٍ مَصْنُوعٍ بِحِيلَةٍ قَصِيرةٍ لِمَصْلَحَةٍ قِطعَةٍ منَ الأَرْض أَنَّهُ كَانَ بِلَا صَانِعٍ وَمُقَدِّرٍ وَيَقدِرُ أَنْ يَقُولَ فِي هَذَا الدُّوْلَاب الأَعْظَم الْمَخْلُوقِ بِحِكْمَةٍ تَقْصُرُ عَنْهَا أَذْهَانُ**

البَشَر لصَلاح جَميع الأَرْض وَمَا عَلَيْهَا أَنَّهُ شَيئاً اتَّفَقَ أو اتُّفِقَ أَنْ يَكُون بِلَا صَنْعَة وَلَا تَقْدير، لَوْ اعْتَلَّ هَذَا الفَلَك - هذا النظامُ الفضائي، هذه الهندسةُ الفلكيّة في حركَة الشَّمس والأرض والقمرِ وسائر النجوم الأخرى - **كَمَا تَعْتَلُّ الآلَاتُ الَّتِي تُتَّخَذُ لِلصَّنَاعَات وَغَيرِها أَيُّ شَيء كَانَ عِنْدَ النَّاسِ منَ الحِيلَة فِي إِصْلَاحه** - ها نحنُ نَرى التلوّثَ البيئيّ وهُو من صِناعتنا نحن عاجزونَ عن الخلاص منه، هذا التصحّرُ الَّذي غزا العالَم في شرقِه وغربه نحنُ عاجزونَ عنَ إصلاحه، وَإذا استطاعَ الإنسانُ أنْ يُصلح شيئاً فإنَّهُ سيُصْلِحُ شَيئاً جُزئيّاً ولَنْ يَكونَ كالأَصل، هُناكَ صناعَةُ اللّه، وهُناكَ صناعةُ عَبد اللّه، الفارقُ كبيرٌ بينَ الصناعتين.

- **فِي إِصْلَاحه لَوْ تَوَقَّفَ القَمَر؟!** - الحياةُ ستُضْرَبُ ضَربةً لا مَثيل لَها، كيفَ يستطيعُ الإنسانُ أنْ يُعيدَ للْقَمَرِ حَرَكَتَهُ.

هذه حِكَمٌ للَّذي يُريدُ هذه الحكْمة، لكنَّني أعتذرُ لإمامِ زماني، وأعتذرُ لإمامي الصَّادق، أعتذرُ إلَيهم إنَّني أقرأُ حديثهم لنَشره، وإلَّا فإنِّي أتوجَّهُ إلى وجه اللّه إلى الحُجَّة بنِ الحسَن وأعتذرُ إلَيه وأقولُ ما جاء في كلماتهم وهُم يُعَلِّمُوننا كيفَ نَتَحدَّثُ عَن اللّه: **مَتَى غِبْتَ** - يَا إِلَهِي - **مَتَى غِبْتَ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ** - هذا كلامُ أئمَّتي لكنَّهم يَتحدَّثونَ في أُفُق الـمُداراة - **وَمَتَى بَعُدْتَ حَتَّى تَكُونَ الآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوْصِلُ إِلَيْكَ، عَمِيَتْ عَيْنٌ لَا تَرَاكَ عَلَيْهَا رَقِيباً، وَخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيباً** - النَّصيبُ الأعظمُ من حُبِّك يَا إِلَهي هُوَ حُبِّي لِوَجْهِكَ الأَعْظم لإِمَام زَمَاني..